

فقيه اللغة العربية

طاهر حسين في ذمته السمة

الدكتور المرحوم طه حسين ظاهرة فكرية تميز بها عصره الأدبي فهو اول من دعا الى التمسك البناء ليصل الى اليقين الوضاء ، ولقد بقي امينا للفكر الحر طوال عمره لم يحد عنه قيد شعره . بدأ حياته كسائر أقرانه من صبيان القرى المصابين بعمى العمى ، في حفظ القرآن الكريم ليكون — على حد ما رسم له اهله — فقيها يرتل القرآن في الجنائز ويكافح من اجل لقمة العيش في هذا الطريق الضيق الذى حتمه عليه قدره ، غير أن حيوية طه حسين وطموحه رفعتة من الغضارة الى الوزارة ومن فلاح فقير الى مفكر كبير . ومن انسان مجبول الى اديب تظنن باسمه البلاد شرقا وغربا ، وتجاوز صيته جدار اللغة العربية فعرف في كثير من اللغات التى ترجمت كتبه اليها كالفرنسية والانكليزية والروسية والاسبانية وسواها .

درس في الأزهر ثم دخل الجامعة المصرية القديمة وتخرج منها وهو يحمل شهادة الدكتوراه في الأدب (كان موضوعه فيها عن ابي العلاء) وابتعث الى فرنسا فحصل منها على دكتوراه اخرى (كان موضوعه فيها عن ابن خلدون) وعاد فمضى في طريق الوظائف وارتقى في الجامعة درجة درجة حتى نال منصب عميد في كلية الآداب وتقدم به طموحه حتى تسلم منصب مستشار في وزارة المعارف ثم اصبح وزيرا لها ، والسواقع ان المستشار هو الوزير الفعلى لانه المخطط الفنى للوزارة والتعليم في البلاد والوزير هو الامر بالتنفيذ والموقع على الاوراق وحسب ، وقد استطاع طه حسين في جميع مناصبه ان يثبت دعائم التفكير المتحرر من ضغط التقاليد الموروثة، وقدااسة القدم التى تضى عادة على المفكرين والمؤلفين السابقين .

ولقد آمن طه حسين بنظرية التمسك في الشعر الجاهلى وهى نظرية لم يبتدعها ولكنه تبناها وساعد على اخراجها واذاعتها في الاوساط الفكرية بكتابه « في الشعر الجاهلى » ولما ثار به المجتمع وسحب كتابه من الاسواق وحول من منصبه — وكان استاذا في كلية الآداب — الى

موظف في وزارة التربية وهاجمته الصحف واطباء البرلمان وبعض الوزراء نعم بعد هذه الضجة عدل كتابه بعض التعديل وسماه « في الادب الجاهلي » لكنه لم يغير آراءه فيه جزئيا . وتوالى مؤلفات طه حسين بعد ذلك في جميع فروع الثقافة الادبية فالتقى الدراسات الادبية والقصة والبحث والمنكرات ، وكانت اعظم كتبه على ما يقول البعض « على هامش السيرة » « والايام » . واطلق عليه لقب « عميد الادب العربي » وانتخب رئيسا لمجمع اللغة العربية في القاهرة وطالت مدته فيه وبقي الرئيس الفخرى له حتى وافاه الاجل في اواسط اكتوبر 1973 ، واثرت طه حسين في جيله بلرز جدا يظهر في هذه الكثرة الكاثرة من الابداء صغارا وكبارا ممن تأثر بأرائه وسار على طريقه في الشك الفكري وفي منهج البحث الادبي

ثم في هذه الكتب المتعددة التي كتبت عنه وضده ، وفي الكتب التي شارك في وضعها وتنسيقها ، وفي مقدمات الكتب التي انشأها كبار المؤلفين ، وفي المقالات المتعددة التي كان ينشرها في الصحف ، وفي المحاضرات التي القاها ، وفي الندوات الجمعية والمستشرقية التي شارك فيها ، ثم في هذه الدفقات من خريجي الجامعات المصرية وكان له الفضل في اشاعة التعليم المجاني بدءا من مدارس الحضارة حتى الجامعة ، واغلب الظن ان طه حسين سيخلد خلودا طويلا وسيبقى اسمه شامعا في التاريخ الادبي والفكري الى جانب الكبار امثال المتنبي والجاحظ وابي نعلان ، رحمه الله تعالى كفاء جهاده في خدمة الفكر الادبي المتحرر واوسع له من مغفرته ما يشاء .

مدوح حقي

